التراكيب الدالة على الزمن في لغة الصحافة المعاصرة
"دراسة نحوية" (١)

هبة محمد أحمد

يُعد مبحث "الدلالة الزمنية" أحد المباحث المهمة في اللغة، وعلى الرغم من أهمية دراسة (الزمن Tense) وصور التعبير عنه في اللغة العربية فإن هذه القضية لم تحظَ بالدرس المستقل في مؤلفات النحويين القدماء؛ فلم يدرسوا الدلالات الزمنية للأفعال والمشتقات والظروف والحروف على أساس التقسيم الزمني، بل جاءت دراستهم للزمن متناثرة بين الأبواب النحوية أو في سياق تفسيرهم لآيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو شرحهم لأبيات شعرية. أما اللغويون المحدثون فقد أفردوا الزمن بدراسات خاصة مفصلة، وفرَّقوا فيها بين أنواع زمنية في اللغة العربية كالزمن الصرفي، والزمن النحوي، وتناولوا مقومات التعبير الزمني ومحددات الدلالة الزمنية داخل الجملة، كما نبَّهوا على دور قرائن السياق اللغوي وغير اللغوي في تخصيص زمن الجملة بل وتخصيص (الجهة الزمنية Aspect) لها، فنجد العربية تعبر عن الماضي البعيد والماضي القريب والماضي المتصل بالحاضر والماضي الشروعي، والمستقبل القريب، والمستقبل البعيد والمستقبل المستمر، وغيرها من الجهات التي تناولها اللغويون في دراساتهم.

ويستهدف هذا البحث دراسة الزمن وإمكانات اللغة العربية في التعبير عن الأزمنة الرئيسية: الماضي، والحاضر، والمستقبل، وما يتفرع عن هذه الأزمنة من جهات زمنية، ولم يقف البحث عند حدود النظرية، بل قدَّمَ أيضًا دراسة تطبيقية لنماذج من لغة الصحافة بوصفها واحدة من صور العربية المعاصرة.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي الذي يقوم على الوصف والتحليل والاستقراء؛ وتمثلت أدواته الإجرائية في أن الدراسة استعرضت أقوال النحاة القدماء في التقسيم الزمني وصور التعبير عنه، وناقشت مسعى اللغويين المحدَثين في دراستهم لمصطلح الزمن ومفهومه، وما أنتجه نقاشهم من الحديث عن القرائن والجهات الزمنية. وقد توقفت الدراسة إزاء هذا الطرح – قديمًا وحديثًا – بالتحليل والتفنيد. كما قامت باستقراء عينات من لغة الصحافة المعاصرة وتحليلها؛ لاستخراج التراكيب التي لها دلالات زمنية، ولمعرفة محددات هذه الدلالة، وقارنت الدراسة ما تستخلصه من تحليلات للمادة التطبيقية – التي تمثل الواقع اللغوي– بآراء بعض اللغويين التي رصدوا من خلالها تراكيب حددوا دلالاتها الزمنية؛ لبحث مدى توافق هذه التراكيب ودلالاتها مع الاستخدامات اللغوية المعاصرة، ولمعرفة ما إذا تضمنت العربية المعاصرة – التي تمثلها لغة الصحافة في هذه الدراسة – تراكيب أو دلالات زمنية جديدة. لذلك تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها جمعت بين قراءة النظرية واستقراء المادة التطبيقية.

---

(١) نُوقشت هذه الرسالة المقدمة من الباحثة: هبة محمد أحمد محمد جاد، المعيدة بقسم اللغة العربية، بكلية الآداب، جامعة القاهرة، لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة القاهرة، وقد تكونت لجنة الحكم والمناقشة من: أ. د. وفاء كامل فايد (مشرفًا)، وأ. د. إيمان السعيد جلال (مناقشًا)، وأ. د. حسام قاسم (مناقشًا)، وقد مُنحت الباحثة درجة الماجستير بتقدير "ممتاز".

وتكونت المادة التطبيقية من أعدادٍ لجريدتي: الأهرام، والشرق الأوسط خلال الفترة الزمنية من عام ١٩٦٠م إلى عام ٢٠١٥م. وتَمثّلت العينات المدروسة في نماذج من الأخبار (العنوان الإخباري، والمتن)، والمقالات. وقد ركزَّت الدراسة على الخبر لثرائه بصور التعبير عن الأزمنة والجهات المختلفة؛ وهذا يرجع إلى طبيعة العنوان الإخباري فالخبر نقلٌ للأحداث والحدث مرتبط بالزمن.

أما بنيَة الدراسة فقد انتظمت في مقدمة، وبابين، وخاتمة، ومسرد لمصطلحات الدراسة وقائمة بالمصادر والمراجع. يُقَدِّم الباب الأول الإطار النظري ويحمل عنوان: "الزمن بين التراث النحوي العربي والدرس اللغوي الحديث"، وهو ينقسم إلى مدخل وفصلين، يعرض المدخل دراسة النحاة لقضية الزمن في العربية، أما الفصل الأول فيتناول الدلالات الزمنية لأهم الأبواب النحوية وهو ينقسم إلى أربعة مباحث؛ الأول: الأفعال، والثاني: المشتقات، والثالث: الحروف والأدوات، والرابع: ظروف الزمان. ويعالج الفصل الثاني من الباب الأول مقاربة اللغويين المحدثين للزمن في اللغة العربية، وجاء في ثلاثة مباحث؛ الأول: قراءة في مصطلح الزمن، والثاني: القرائن الزمنية، والثالث: الجهات الزمنية: مفهومها وإرهاصاتها عند النحاة العرب.

ويُقَدِّم الباب الثاني الدراسة التطبيقية وهو بعنوان: "البنية الزمنية في الجملة الصحفية"، ويضم تمهيدًا، وخمسة فصول، وقد عرض التمهيد العلاقة بين اللغة والصحافة، وخُصِّصَ الفصل الأول للزمن الماضي: جهاته وتراكيبه ودلالاته، والفصل الثاني للزمن الحاضر: جهاته وتراكيبه ودلالاته، والفصل الثالث لزمن المستقبل: جهاته وتراكيبه ودلالاته، في حين استعرض الفصل الرابع مجموعة من خصائص التعبير الزمني في لغة الصحافة، وتناول الفصل الخامس ما أطلقَت عليه الباحثة "الاستعارة الزمنية" وهو مصطلح قَدَّمَتْه ووضحت مفهومه؛ حيث درَسَت فيه الاستخدام المجازي للأبنية الزمنية.

ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة: أنها اقترحَت عددًا من المصطلحات والمفاهيم، منها: مفهوم الزمن في حقل الدراسات اللغوية، ومصطلح الزمن المعجمي ومفهومه، ومصطلح الاستعارة الزمنية ومفهومها، وقَدَّمَت تسميات جديدة لبعض الجهات الزمنية مع توضيح تراكيبها ودلالاتها. كما أثبتت الدراسة – من خلال المادة التطبيقية – أن البنية الزمنية في اللغة العربية تحظى بمرونة في مكوِّناتها ودلالاتها؛ فالجهة الزمنية الواحدة قد تمتلك صورًا متعددة للتعبير عنها، والصيغة الواحدة أو التركيب الواحد يمكن أن يحمل أكثر من دلالة زمنية تحسمها القرائن الزمنية التي تضم قرائن السياق اللغوي وغير اللغوي، ويمكن أن نكتفي بقرينة واحدة مما سبق لمعرفة زمن الجملة، أو قد تتضافر عدة قرائن لتمنحنا الدلالة الزمنية المقصودة. كما بيَّنَت الدراسة بعض خصائص التعبير الزمني في لغة الصحافة؛ منها: أن العنوان الإخباري يأتي – عادة – خاليًا من الدلالة الزمنية لخلوه من القرائن التي تحدد الزمن على الرغم من احتوائه على صيغ كالأفعال والمصادر، وفي هذه الحالة يصبح متن الخبر – بما يضمه من صيغ وقرائن زمنية– هو السياق المحدد للدلالة الزمنية في العنوان الإخباري. ومن الأنماط التي استحدثتها لغة الصحافة نمط مخالف لقواعد العربية وهو التركيب: **(يفعل أمس)**؛ إذ يأتي الفعل المضارع متبوعًا بظرف دالٍ على الزمن الماضي، وقد ورد في هيئة تعليقات تحت الصور داخل متن الخبر الصحفي، ويبدو أنه من قبيل حكاية الحال الماضية. والتعبير عن الزمن الماضي باستخدام الفعل الماضي في العنوان الإخباري قليل مقارنة باستخدام الفعل المضارع، وقد رصدت الدراسة عدة أسباب

لاستخدام الفعل الماضي – واستبعاد استخدام المضارع – في العنوان الإخباري.

كما استخلصت الدراسة – أيضًا – أن استخدام الفعل المضارع للتعبير عن الزمن الماضي، الذي قال عنه علماء العربية إنه حكاية الحال الماضية، يُعد من قبيل (الاستعارة الزمنية)، وهذا المصطلح اقترحَتْه الدراسةُ للتعبير عن هذه الظاهرة، وقدَّمت له هذا التعريف: أن يستعير المتكلم بِنيةَ زمنٍ ويمنحها دلالة زمنية تُخالِف الأصل الذي وُضِعت له لفائدةٍ يُريدُها نَستخلصها من مُعطيات السياق وتشابك القرائن فيه، وتصبح الجملة حاملةً لزمنين: أحدهما (غير مقصود) تدل عليه عناصرُها بما تحتويه من صيغ وقرائن زمنية، والآخر (مقصود) نستدل عليه بمعرفة السياق العام للنص الحامل لمراد المتكلم. وتأخذ هذه الاستعارة الزمنية عدة صور منها: استعارة الفعل المضارع واسم الفاعل المنون للتعبير عن الزمن الماضي، واستعارة الفعل المضارع الدال على الحاضر للتعبير عن المستقبل، واستعارة الفعل الماضي للتعبير عن المستقبل.